التوليدية التحويلية صدى الكتاب

م.د. علي شاكر جواد المحنه
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
للعلوم الإسلامية الجامعة

الكلمات المفتاحية: لأدلة النقلية، اعترافات صاحب النظرية، الأدلة العقلية

الملخص

إن ما جاء به تشومسكي منذ ما يزيد على النصف قرن تحوّل في مجال البحث اللغوي الحديث، ولكن مثلما أثير حول هذه النظرية من انتقادات في مراحلها الثلاث، كذلك أثيرت شكوك حول أصالة هذه النظرية بعد أن لوحظ ما بينها وما بين التراث النحو العربي من تقارب يجعل الظنون شبه مؤكد بالاعتماد على ذلك التراث الثري. ومن هنا جاءت فكرة بحثنا لالتماس عدم أصالة هذه النظرية واعتمادها على أسس سبقه فيها سيبويه. إن المقاربات الكثيرة التي أجريت في هذا الصدد دلت على التقارب الكبير بين ما موجود في الكتاب وما جاء به تشومسكي، حتى باتت دليلا عقليا كبيرا لتأثره بنحو سيبويه ولكن هذا الدليل يبقى قاصرا من دون دليل نقلي يؤكد على الأقل اطلاع تشومسكي على كتاب سيبويه ، ويقصد الباحث بالدليل النقلي: اعتراف تشومسكي بذلك، أو ما نقل عن اعترافه بذلك .لذا لم يكن هدف البحث إجراء المقاربات بل إيجاد الدليل الثاني على تأثر تشومسكي بالكتاب وهو الدليل النقلي كما أسلفنا. وعليه جاء البحث على قسمين:الأول :الدليل النقلي: ويعتمد على ما نقل

حول هذا الموضوع والاهم في ذلك ما نُقل عن صاحب النظرية (تشومسكي). والآخر عقلي: يقوم على ما عُقد من مقاربات تؤكد ما جاء به المنقول.

التمهيد

عدّ الدارسون ظهور المنهج التوليدي التحويلي تحولاً في مجال البحث اللغوي وهزة عنيفة لأركان المنهج الوصفي وأسسه، وكما هو معروف إن المنهج الوصفي تعامل مع حقائق اللغة بوصفها أشكالاً ترد عنه مثير واستجابة أو فعل ورد فعل فاستبعد العقل والمعنى من الدراسات اللغوية.

وحاول أصحاب المنهج التوليدي التحويلي توجيه هذه التغيرات الوصفية بوضع أسس جديدة تقوم على النشاط العقلي، وتربط بين اللغة والعقل عند تفسير الحقائق اللغوية المختبئة تحت الأشكال أو التراكيب اللغوية.

لقد تنبه عدد غير قليل من المحدثين العرب والمستشرقين إلى أن أكثر هذه الفرضيات والأسس التي جاء بها أصحاب المنهج التوليدي التحويلي موجود في النسيج الأساسي للنظرية النحوية العربية وعند سيبويه خاصة[1].

وهذا يقودنا إلى السؤال الآتي وقد خطر هذا السؤال في ذهن أغلب الذين لمسوا مؤشرات هذه النظرية في منهج التحليل النحوي العربي . والسؤال هو: هل تأثر تشومسكي فعلا في نظريته هذه بالتراث النحوي العربي ومنهم سيبويه أو استقى فكرته من التراث العربي لينطلق فيما بعد في بنائها، أو أنّها وليدة بنات أفكاره، وأنه تفرد بنظرية نحوية لم يسبقه إليها أحد وهل هذا التشابه وليد الصدفة، أو مبني على معطيات سابقة؟

لقد أجاب من رأى إن هذه النظرية لها جذور في التراث النحوي العربي إجابات منها ما هو عقلي قائم على وجه الشبه بين فرضيات تشومسكي وما وجد في التراث النحوي العربي ومنها ما هو نقلي قد دل بصورة مباشرة أو غير مباشرة بتأثر تشومسكي بما حمله التراث النحوي العربي من إشارات هذه النظرية.

والذي يستوقفنا هو عمر النظرية التوليدية التحويلية والفترات الزمنية غير الطويلة التي يتنقل بها تشومسكي بين مراحل النظرية. أفلا يستدعي هذا الأمر بالقول إنّ لتشومسكي خلفيات فكرية قد استقاها من ثقافة معينة لإجراء التعديلات والانتقال والابتكار للتخلص من الإشكالات التي قد يقع فيها أثناء مراحل نظريته الثلاث؟ ، وقد يجرنا السؤال إلى حداثة النظرية ذاتها[2]، أو إلى ما عبر عنها ميلكا إفيتش بأنها (وليد الأمس)[3]، مع هذا أحدثت هذه

الثورة في البحث اللغوي، فهل كانت أسس وفرضيات هذه النظرية وليدة الأمس أو استقتها من أصول ولدت قبلها بقرون وباتت الإشارات بينها وبين ما جاء به تشومسكي واضحة؟

سنعرض ذلك للوقوف عند حقيقة هذه النظرية فهل هي ابنة النصف قرن، أم أنها وليدة قرون سبقت تشومسكي؟ ومن ثم سوف نسلك للوقوف على حقيقة الأمر مسلكين؛ الأول: الدليل النقلي نسنده بدليل عقلي ثانٍ نقف عنده عن طريق مقاربات استعنا بها تظهر الأول أكثر جلاء وتأكيداً ومي على النحو الآتي:

اولاً- الأدلة النقلية :

أشار الكثير من الباحثين المعاصرين إلى العلاقة بين نظرية تشومسكي وما ورد في التراث النحوي العربي، مما حدا ببعضهم القول بتأثر تشومسكي بالتراث اللغوي العربي في وضع نظريته، ولو نظرنا إلى تلك المقاربات لالتمسنا صحة كلامهم، فنجد في تراثنا اللغوي الكثير مما أشاروا إليه صراحة وضمناً يتفق مع ما بنى عليه تشومسكي نظريته[4].

نقل عن الدكتور علي زوين قوله: ((من الضروري الإشارة إلى أن تشومسكي قد درس العبرية القديمة باتقان وكان يعتبر من المبرزين فيها، وربما درس أصول النحو العربي عن طريق المترجمات العبرية في الأندلس وهي مترجمات نقلت قواعد النحو العربي وطبقته على العبرية))[5]، ولكن نلحظ أن هذا النص يضع تأثر تشومسكي في دائرة الافتراض من دون الإشارة الصريحة إلى اطلاعه أو تأثره بالتراث العربي، وإنما بني هذا التخمين للتقارب الواضح والكبير بين ما جاء في التراث النحوي العربي وما جاء به تشومسكي في نظريته النحوية من تشابه.

وأكّد الدكتور مازن الوعر في لقاء له مع تشومسكي اطلاع الأخير على التراث النحوي العربي ناقلا قوله : ((قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت اشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات، وما زلت أذكر دراستي للأجرومية منذ عدة سنوات خلت – أظن أكثر من ثلاثين عاماً- وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال... وكنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية، أدرس في جامعة بنسلفانيا، وكنت مهتمّاً بالتراث النحوي العربي والعبري))[6]، وهذا التصريح يزيل الغموض عن اطلاع تشومسكي على التراث النحوي العربي ومع ما عُقد من مقاربات بين نظرية جومسكي وهذا التراث يجلي الضباب عن تأثر تسيومسكي الجزئي على أقل تقدير بالتراث النحوي العربي، ولكن مايهمنا هنا هو هل اطلع جومسكي أو تأثر في نحو سيبويه تحديداً؟

ذكر الدكتور عبده الراجحي رأياً مفاده أن النظرية التحويلية ليست جديدة العهد وإنما هي سابقة الاستعمال بالقواعد التقليدية؛ إذ قال: ((ولا يوجد بالضرورة ماهو جديد في نظرية التحويل؛ لأنها نظرية سبق استعمالها بكثرة في الجراماتيكا التقليدية لربط تركيب جملة بأخرى))[7] وهذا الرأي ليس فيه إشارة صريحة لتأثر النظرية بالتراث العربي بصورة عامة أو بسيبويه بصورة خاصة، لكن الدكتور حمزة بن بقلان المزيني ينقل لنا رأياً صريحاً سمعهُ من الدكتور عبدة الراجحي في محاضرة عامة في النادي الأدبي في الرياض يؤكد فيه ((أخذ تشومسكي عن النحو العربي، وذلك أنه في رأي الدكتور الراجحي درس كتاب سيبويه، واطلع على دراسات عالم اللغة الالماني فون همبولت الذي كان يعرف النحو العربي، يزاد على ذلك تأكيد الدكتور الراجحي أن هناك باحثاً عربياً هو الدكتور يوسف عون، يُدرِّس تشومسكي كتاب سيبويه))[8]. وهذا الكلام أيضا لا يعدُّ جزماً بتأثر جومسكي أو الأخذ من سيبويه، وكلام الراجحي هذا دفع الدكتور حمزة إلى مراسلة تشومسكي للوقوف على حقيقة ما قاله الراجحي من تأثر تشومسكي والأخذ من سيبويه[9] وقد أجاب تشومسكي على رسالة المزيني برسالة مؤرخة في 28 مايو 1989م. وقد ترجمها ونشرها في جريدة الرياض السعودية الخميس 1420/11/11 هـ[10]. فذكر الدكتور المزيني جواب تشومسكي في جزء الرسالة الذي يتعلق بهذا الموضوع ((وتسأل عن تأثير النحو العربي التقليدي على منهجي في دراسة اللغة: إن أكثر الأقوال التي سمعتها صحيحة جزئياً إلا تلك التي تتعلق بفول همبولت الذي لم اطلع على دراساته إلا في الستينيات... لمّا التحقت بجامعة بنلسفينيا في سنة 1945م بدأت مباشرة بدراسة اللغة العربية مع جورجيا ليفي ديللا فيدا الذي كان مستعرباً متميزاً جداً، ثم درست، بعد أن تقاعد ديلا فيدا، مع فرانز روزنتال . ومع روزنتال درست مادة اللغة العربية لفصل واحد، وكنت الطالب الوحيد في تلك المادة .ودرست معه فيها كتاب سيبويه))[11]، ويمكن القول إن صح ما تقدم أن تشومسكي قد اقر صراحة باطلاعه على النحو العربي ودراسته لكتاب سيبويه، ويؤكد هذا الأمر، الدكتور زكريا راجح مقدادي في بحث نشره على أحد المواقع الإلكترونية في يوم الثلاثاء 2011/7/26 بعنوان: (المنهج التوليد التحويلي التشومسكي) يقول فيه: ((فلو حملنا فكرة تأثر تشومسكي بعلماء العربية محمل الجد لوجدناها ممكنة جدا لاتساع حركة الترجمة قديماً وحديثاً، عدا أن تشومسكي نفسه قد أقر – في جواب بعثه إلى الدكتورة معصومة عبد الصاحب ردا على رسالتها التي بعثتها له تسأله عن بعض المسائل المشتركة بين اللغة العربية والمنهج التوليدي الأمريكي- إنه قد درس نحو سيبويه في مقرر متقدم في اللغة العربية في مدرسة للدراسات العليا بجامعة بنسلفانيا مع الدكتور فرانز

روزنثال، الذي انتقل إلى جامعة بيل . وعليه فنحن لانعدم وسيلة لأن نكون واثقين من أن تشومسكي قد تأثّر بعلماء العربية أمثال سيبويه على حد تعبيره)) [12]، ويؤكد هذا التأثر تشومسكي نفسه بقوله عند اجابته عن تأثره بالتراث العربي في وضع منهجه وأثناء سرده للمراحل التي درس فيها أو اطلع فيها على هذا التراث النحوي: ((ومن الصعب دائماً أن نتبع بدقة مثل هذه الأمور، لكن هناك من غير شك احتمالاً كبيراً لمثل هذا التأثر))[13] ويدل كل ما ذُكر من هذه الأدلة النقلية وخاصة ما أقرَّ به تشومسكي من اطلاعه ودراسته واحتمال تأثره على حد قوله لم يبقَ سوى القول : هل يبقى أدنى شك بأن ما قام به تشومسكي قد اعتمد فيه على أفكار اطلع عليها في النحو العربي عموما وفي نحو سيبويه خصوصاً ليتخذها منطلقا على أقل تقدير لبناء نظريته التوليدية التحويلية؟!.

هذا ما يتأكد لنا في ما سنلمسه من تقارب كبير في الأسس والفرضيات التي بنى تشومسكي عليها نظريته النحوية وما عند شيخ العربية سيبويه من تحليلات نحوية احتضنها كتابه الخالد.

ثانياً- الأدلة العقلية: الإشارات التوليدية التحويلية بين تشومسكي وسيبويه:

لقد كان سيبويه يقلب التراكيب اللغوية على أوجهها المختلفة مخترقاً أنسجتها لمعرفة مايكتنفها من دلالات عميقة فتحكم في منظومتها التأليفية الشكلية وما يعتريها من تحولات تظهر المحتوى الدلالي للجمل المولدة، وبحسب ذلك سنحاول إسناد الدليل الأول (النقلي) من المقاربات التي استعنا بها للوصول إلى هدف البحث من خلال التماس الإشارات التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه.

يرى تشومسكي إن اللغة الإنسانية هي خاصية انسانية ذاتية تميزه عن الحيوان وإن حاول الحيوان إصدار بعض الأصوات فإنها لا تكون بأفضل أحوالها إلا نتيجة سلوكية طارئة[14]، إذن هي ميزة إنسانية، ويستطيع كل إنسان إنتاج عدد غير محدد من جمل لغة بيئته، وإن لم يسبق سماعها من قبل؛ وهذه المقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في إطار النظرية التوليدية التحويلية تعرف بـ (الكفاءة اللغوية)[15]. أما الأداء الكلامي فهو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين. وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية[16].

ويعني ذلك أن اللغة ارتبطت بالإنسان دون غيره وأصبح الإنسان هدف التحليل اللغوي عند تشومسكي فأكد على (قدرة المتكلم وحرصه ، وكفايته وأدائه) وهذه مفاهيم أساسية في

المنهج التوليدي التحويلي تمثل الأساس النظري للمنهج[17]، لذا عبروا عنهُ (بالمتكلم المثالي)[18]. فهو الناطق للكلام بأنواعه. وقد بنى سيبويه منهجه على هذا التصور فنجد ذلك في كثير من العبارات التي تخللت التحليل النحوي في الكتاب، وذلك نحو: ((وكل هذا على ما سمعنا العرب تتكلم به))[19]. و((وجدنا العرب تقول))[20] وغير ذلك. ويشعر المتأمل في مجريات التحليل في الكتاب أن ما تبناه سيبويه من طرائق في التحليل يعد سابقة رائدة في هذا الباب؛ ذلك أنه انتقل بمستوى التحليل إلى مستوى افتراضي تجريدي يدخل فيه حدس اللغوي الذي يقوم بتحليل اللغة ، فحدس المتكلم يلجأ إليه للحصول على ما يشعر انه قائم في لغته ، أما اللغوي فيقوم بتحليل المادة وفقا لوسائله ونظريته في التحليل؛ وبذلك يقع حدس المتكلم في ضمن كفايته اللغوية، ومعرفته الضمنية بقواعد اللغة، وتمثل آرائه معطيات لغوية تساعد اللغوي على تحليل المادة اللغوية[21]. فإذا كان الحدس عند تشومسكي هو الحكم القاطع على أصولية الجملة أو عدم أصوليتها. ومدى تقبلها من أبناء اللغة[22]، فإن هذا يماثل ما قاله سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فاستطاع سيبويه أن يقسم الكلم العربي من حيث الصحة المعنوية والنحوية على أقسام عدة، منها مستقيم حسن ومنها المحال ومنها المستقيم الكذب ومنها المستقيم القبيح...[23].

كذلك نلمس التقارب في فكرة التحليل الشجري للجملة عند تشومسكي وبين تحليل أقسام الجملة عند سيبويه فيرى تشومسكي أن كل جملة تحتوي على عدد من العناصر المكونة الرئيسة على الباحث تحليل تلك المكونات الرئيسة، وصولاً إلى البنية الأساسية للجملة، ويأخذ جملة تحتوي على عدد من العناصر المكونة الرئيسة وعلى الباحث تحليل تلك المكونات الرئيسة، وصولا إلى البنية الأساسية للجملة، ويأخذ جملة ويحللها إلى مركب فعلي ومركب اسمي، ثم يحلل المركب الفعلي إلى فعل ومركب اسمي... وهكذا[24].

طريقة تحليل الجملة بما سماه (تشومسكي) الشجرة أو المشجرة نجد ما يماثلها في كتاب سيبويه، ففي باب الفاعل يقول سيبويه ((وذلك قولهم ضرب عبد الله زيداً، فعبد الله ارتفع هاهنا في ذهب، وشغلت (ضرب) به كما شغلت ذهب وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل))[25]، فقد حلل سيبويه الجملة إلى مكوناتها المباشرة الأساسية (فعل- ضرب) و(فاعل –عبد الله) و(مفعول – زيد) وهذا يشابه طريقة المشجر التي اتبعها تشومسكي فلو عبرنا عن تحليل الجملة بطريقة المشجر لقلنا[26]: إن الجملة تتكون من ركن إسناد وركن تكملة، ثم يتفرع ركن الإسناد إلى فعل واسم...[27]

كان لحدس سيبويه حضور في تحليل المواد اللغوية، وهذا يلحظ في جوانب ثلاثة أساسية أطرت منهجه في التحليل هي: فكرة الإسناد، والأصل والفرع، ومصطلح تمثيل (ولم يتكلم به) وفي جميعها يرجع سيبويه الكلام المستعمل إلى أصل مفترض مجرد. فقد اختزل سيبويه مفهوم الإسناد بثنائية مجردة هي (المسند والمسند إليه) وجعلها أصلا لكل كلام منجز مفيد وأشار في مقدمة كتابه إلى أنهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا فجعل فكرة الإسناد منطلقا لمنهجه في التحليل النحوي، وبه صنف كل أبواب الكتاب، وكانت كل أبواب الكتاب مولدة من باب الإسناد، فهي إما مولدة من إسناد اسمي وإسناد فعلي وإسناد يعتمد على الأداة وهذا ما تنبه إليه الدكتور محمد البكاء في دراسته الموسومة ((منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي)) [28] وقوله: ((ولا يجد المتكلم منه بدا، فيه إشارة إلى المتكلم المثالي القادر على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد اللغة)) [29].

أما فكرة الأصل والفرع، وهي فكرة أصلية في التفكير النحوي عند العرب وقد سيطرت على أوجه التحليل في كتاب سيبويه نحو: ((اعلم أن مما يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك)) [30]: و((حروف الاستفهام كذلك لا يليها إلاّ الفعل؛ إلاّ أنهم قد توسعوا فيها فابتدأوا بعدها الأسماء والأصل غير ذلك)) [31]. وكذلك أقواله من نحو ((جاء به على الأصل))[32]، و((هو على الأصل)) [33]. إشارة إلى بنية أولية هي الفاصل وأخرى مولدة منها، أو محمولة عنها هي الفرع وتقترب فكرة الأصل والفرع مما جيئ به في النحو التوليدي التحويلي من القول بالبنية العميقة والبنية السطحية، والقواعد التي تتحكم بمبناها ومعناها التي وسموها بـ (قواعد التوليد والتحويل)[34]، فالبنية العميقة والبنية السطحية تمثلان محور التحويل في النظرية[35].

لقد أخضع سيبويه مستويات اللغة المختلفة إلى أصل مجرد، وتناول ذلك على مستوى المفرد والتركيب، فمثلا في باب الإعلال في سيِّد وصيِّب يقول: ((إنما أصلها سيود وصيوب))، ويعلل ذلك بالخفة[36].

وكذلك يدخل سيبويه إلى كثير من التراكيب اللغوية فيوجهها بسبب من بنيتها العميقة، وذلك نحو: امتلأت ماء، قال ((وإنما أصله امتلأت من الماء)) [37] وكذلك عندما يواجه قسما من الأفعال المتعدية فيخضعها لإرادة المتكلم وقدرته على التحكم في تعديتها إلى مفعول واحد أو مفعولين[38] نحو: (أعطى وكنى، وكنى ودعا)[39]، قال: ((هذه الحروف [يريد الكلمات] كان أصلها في الاستعمال أن توصل بحروف الإضافة)) [40].

فالفعل في هذه البنيتان لا يباشر المفعول إلاّ بوسيط هو حرف الجر، ثم جرى عليه التحويل فحذف حرف الجر، ثم تقدم المجرور ليصبح مفعولاً، وتأخر الثاني ليكون مفعولاً ثانيا، ((ويتعلق كل ذلك بالمعنى الكامن (العميق) في كفاية المتكلم مثلما يذهب التحويليون))[41].

ويلحظ من عبارات استعملها سيبويه وضوح هذا الجانب في التحليل لديه من نحو قوله: ((وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء))[42].

فقوله (أخذت) إشارة إلى أنها مولدة من أصل، فيقوم المتكلم بالربط بين بنيتين إحداهما أصل، والأخرى امتداد للأصل، أو صورة مولدة من الأصل بإدخال عناصر مختلفة على جملة الأصل، إلاّ أن بنية الأصل هي البنية المحورية في التحليل اللغوي[43]. ويظهر في منهج التحليل النحوي عند سيبويه جانب تحليلي مهم يرتقي بمنهجه إلى مستوى التجرد يؤكد فيه قدرة ابن اللغة على توليد أمثلة تتسق مع أصول اللغة، إلاّ أنها ليست معطيات لغوية، حقيقية وهذا الجانب يتجلى في مصطلح[44] (تمثيل ولم يتحكم به)[45]. وفي ذلك تصور للبنية العميقة للأشكال اللغوية المختلفة مثلما يتضح من أقواله: ((وذلك قولك: (ما أحسَنَ عبدَ الله) زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيء أحسن عبد الله، ودخله معنى التعجب، وهذا تمثيل ولم يُتكلَّم به))[46]. وقوله (انك إذا قلت : لم آتك صار كأنك قلت لم يكن إتيان، لم يجز فأحدثك ، كأنك قلت في آتيك صار كأنك قلت لم يكن إتيان، لم يجز فأحدثك. كأنك قلت في التمثيل فحديث. وهذا تمثيل ولم يتكلم به))[47]. فهذه التراكيب المصنوعة بقصد التمثيل تقرب من منهجها من القواعد التوليدية، وتعكس قدرة متكلم اللغة على توليد تراكيب جديدة بأشكال مختلفة وفقا لكفايته اللغوية مع الالتزام بنظام اللغة، ((وهذا يعني أن الكلام هو قواعد تركيبية، وأشكال مجردة نظرية يستعملها المتكلم بشكل إنسيابي؛ لأنه يطبق قواعد اللغة النظرية، وان هذا الذي يولده من الجمل يكون على مستويين، مستوى ظاهري ، وهو ما ينطقه، وهو نسق الدوال، ومستوى داخلي عميق يتعلق بالقضايا المعنوية التي يشترك فيها أبناء اللغة جميعهم بما يملكه ومستعمل اللغة من استعداد وكفاية لغوية))[48].

ووردت في كتاب سيبويه مؤشرات تحويلية جديرة بالعناية، وهي لا تختلف عما جاء به المنهج التوليدي التحويلي من هذه المؤشرات.

فإذا كان التوليد يتعلّق بتكوين الجمل، وربط آجزاء الكلام بعضه ببعض، فإن التحويل هو نقل ما في داخل التركيب من معانٍ إلى مستوى النطق الظاهر، ويقصد بالداخل كل ما يتعلق بالمعنى ويشترك فيه أبناء البيئة اللغوية الواحدة[49]، ومن هذه المؤشرات أو القواعد التحويلية:

أ-الزيادة:

الزيادة نقلة في المعنى تتم بإضافات تغير في شكل التركيب ومعناه، فتنقل الكلام من المكون التركيبي إلى المكون التحويلي، والمكون التحويلي هو الذي يساعد على نقل الجمل من بنيتها الأولية إلى البنية السطحية[50]، ومنها:

1-الزيادة بالنفي:

((قد يختلف المعنى والأدوات الدالة على النفي بين العربية وغيرها؛ إلاّ أن وظيفة النفي واحدة هي نقل التركيب من معنى الإيجاب إلى معنى السلب بزيادة معينة قد تكون (Not) في الانكليزية مثلا وما ،ولا، وغيرها في العربية)). وقد عالج سيبويه هذا الموضوع ببراعة عالية؛ إذ جعل النفي في مقابلة الإثبات للكشف عن الزمن النحوي[51]، ذلك في (باب نفي الفعل)؛ إذ قال: ((إذا قال: فعل فإن نفيه لم يفعل، وإذا قال: قد فعل فإن نفيه لما يفعل. وإذا قال لقد فعل فإنّ نفيه ما فعل؛ لأنه كأنه قال: والله لقد فعل، فقال: والله ما فعل، وإذا قال هو يفعل أي هو في حال فعل، فإنّ نفيه ما يفعل. وإذا قال هو يفعل ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل وإذا قال ليفعلن فنفيه لا يفعل، كأنه قال: والله ليفعلن فقلت: والله لا يفعل. وإذا قال سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل))[52] فـ(فعل) صيغة الإثبات الدالة على الزمن الماضي، و(يفعل) تحول بدخول (لم) عليه إلى دلالة المضي، ولما يفعل موضوعه لزمن قريب من زمن المتكلم في مقابلة قد فعل الدالة على أن الحديث وقع قريبا من زمن المتكلم ومتصل به[53]، وجرى تشومسكي أن ابسط طريقة لوصف النفي تكون باستخدام تحويل قبل الجملة وإدخال (NOT) بعد المورفيم[54]. وفي ضوء ما تقدم نرى أن الصيغ المنفية صيغ محوّلة عن أصله بزيادات لحقت بها.

2- الزيادة لغرض التوكيد:

قد تزاد على الجملة عناصر لغوية فتحول معناها من جملة مولّدة غير مؤكدة إلى جملة محولة مؤكدة يصحبها تحويل في الشكل والمعنى، وهذا مفهوم التوكيد عند التحويليين. ويلحظ ذلك في زيادة (من) في الجملتين اللتين ذكرهما سيبويه في هذا الباب[55] ما أتاني من احد إلاّ زيد وما رأيت أحدا إلاّ زيدا، قال: ((ولكن (من) دخلت هنا توكيدا))[56]. وهذه الزيادة فضلا عن إفادتها للتوكيد نقلت المعنى من إرادة المعنى إلى إرادة الجنس، قال السيرافي: وإنما دخلت في النفي على النكرة لنقله من معنى الواحد إلى معنى الجنس[57]، وكذلك تدخل الباء لغرض التوكيد نحو ((ما أنت بفاعل، ولست بفاعل))[58]. ومن التوكيد عند سيبويه التوكيد بالمصدر الذي هو الحدث نحو: هذا عبد الله حقا، وله عليه ألف درهم عرفاً[59]. وغير ذلك

من أنواع التوكيد التي تحول التراكيب إلى معنى يحتاج إليه السامع لإزالة الشك، أو لتثبيت أمر معين في نفسه.

ويلحظ من الزيادة الحصول على شكل جديد للتركيب، ومعنى جديد لم يكن له من قبل، ويكشف عن القدرة التعبيرية لمتكلّم اللغة في توليد نماذج تركيبة مختلفة لمعان مختلفة بزيادة عنصر أو أكثر على مكونات التركيب الأصل.

ب-الحذف:

((الحذف من العمليات الكبرى في مجال النحو التحويلي إذ فيه يتم استبعاد مكون من العبارة، فقد "يلجأ متكلم اللغة في حديثه اليومي إلى أسلوب الحذف، قصد الإيجاز والتخلص من التكرار وذلك بإلغاء أحد أجزاء الجملة" (فالحذف) هو عنصر" من عناصر التحويل، نقيض للزيادة ... فكما أن الزيادة هي أي زيادة على الجملة التوليدية (النواة) لتحويلها إلى جملة تحويلية لغرض في المعنى، فإن الحذف يعني أي نقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية لغرض في المعنى))[60]، أي إذا كانت الزيادة تعني زيادة مكون معين على مكونات التركيب فإن الحذف هو اختزال مكون من مكونات التركيب مع الاحتفاظ بالمعنى، وقد عُني التحويليون بالحذف كثيراً لما يحصل للشكل اللغوي من تغير مع بقاء التركيب متضمناً المعنى الأصل[61].

ويلحظ أن سيبويه قد تنبه لهذه الظاهرة فأسس لها بابا في كتابه قال فيه: ((اعلم أنهم مما يخوفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك))[62]. فهو يرجع الكلام إلى أصول ملاحظة في بنيته العميقة، إذ يحذف ابن اللغة من كلّمه ما هو ملاحظ عند المتلقي ومعروف لديه. قال سيبويه: ((وإنما أضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافاً، ولأن المخاطب يعلم ما يعني))[63]. وهذا ما سماه الدكتور عبد السلام المسدي بـ (قانون التناسب العكسي)، قال: ((والذي يعنينا من كل استقراءات سيبويه في هذا المضمار، ونحن على مسار تحديد الطاقة الاستيعابية في اللغة هو استنباطه لقانون التناسب العكسي بين طاقة التصريح في الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة الدلالية، وبموجبه تكون الطاقة الاختزالية ممكنة بقدر ما يكون السامع مستطيعاً على مضمونها الخبري))[64]. لذلك يرى النحويون أن ما يعقل من الكلام موازٍ لما يصرح به.[65] يقول سيبويه: ((وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: {حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها} أين جوابها؟ .. فقال إن العرب قد تترك مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام))[66]. ويلحظ أن الربط بين الحذف وعلم

السامع الذي هو علة هذا الحذف، فضلا عن علل أخرى ذكرها سيبويه كالتخفيف وكثرة الاستعمال وغيرها مما يعد مظهرا أساسا في المنهج التحويلي.

ت: التقديم والتأخير:

((مصطلح يستخدم في علم اللغة للإشارة إلى صيغة العلاقات المكونة للسياق الخطي في الوحدات اللسانية، وتؤدي اللغة وظيفتها – وهي الإفادة – من خلال ترتيب المفردات في التراكيب الجملية لتجعلها صحيحة نحويّاً ومعنويّاً فإذا اختل هذا النظام من ناحية من نواحيه لم يحقق الكلام الغرض منه وهو الإفهام، إذاً فإن رتبة كل كلمة داخل الترتيب تؤشر مكانتها الخاصة بها، فالتقديم والتأخير عند التحويليين هو أن تغير مواقع بعض التراكيب وذلك بتقديمها أو تأخيرها لغرض معنوي، شريطة، أن لا يخل هذا التقديم والتأخير بتركيب الجملة ومعناها))[67]، فيقدم ويؤخر لأغراض تتعلق منها العناية والاهتمام، أو مقتضيات أخرى تركيبية أو دلالية[68]. والتقديم والتأخير تحويل لموضع عنصر لغوي له وظيفة محددة في الكلام محل عنصر آخر له وظيفته المعينة وحكمه النحوي، فقد يتقدم المفعول على الفاعل على الرغم من ان ترتيبه بعد الفاعل نحو: (ضرب زيدا عبد الله)، وأصلها في الترتيب : (ضرب عبد الله زيداً)؛ لأن المفعول هو موضع عناية المتكلم والسامع واهتمامها[69].

وكل ذلك يتم على وفق نظام وقواعد اللغة الدلالية وأن ما أشار إليه البلاغيون من التعقيد اللفظي أو المعنوي إشارة إلى ما يحصل من خروج على نظام اللغة وخطة الترتيب التي أقرها نظامها.

نلمس مما تقدم من إشارات توليدية تحويلية عند شيخ العربية (سيبويه) وجه القرابة الكبير بينه وبين نظرية جومسكي التوليدية التحويلية وبأمور جوهرية شتى منها البنية العميقة والسطحية وإشارات الصحة النحوية، وطريقة تقسيم الجملة، وكيفية التوليد، وقواعد التحويل وغير ذلك مما نادى به التحويليون، فهل جاء ذلك وليد الصدفة؟

الخاتمة

قبل البدء بذكر ما توصل إليه البحث من نتائج متواضعة، ينبغي أن لا ننكر الجهد الكبير الذي بذله تشومسكي في مجال الدراسة اللغوية الحديثة، وأنه رأس من رؤوس المدارس الحديثة في العالم الغربي، ولكن لابد من ذكر حقيقة مهمة ألا وهي أن ما جاء به تشومسكي وإن اختلف في بعض جزيئاته فهو يقترب كثيرا من الفكر اللغوي عند سيبويه، وإذا كانت المقاربات النحوية بين نظريته وبين منهج التحليل النحوي عند سيبويه، من إشارات للبنيتين

العميقة والسطحية، والكفاية اللغوية، والأداء الكلامي والقدرة على التوليد، وقواعد التحويل وغيرها، قد تدفع إلى القول بتأثر تشومسكي بسيبويه، فإن اعترافه بالاطلاع على كتاب سيبويه ودراسته، بل إقرار تشومسكي ذاته بذلك التأثر يزيل الظنون بلا أدنى شك بأن نظريته ليست وليدة اللحظة لديه، بل قامت على أفكار سبقه بها سيبويه، وإن ما جاء به تشومسكي هو صدى من أصداء سيبويه في تحليل وفهم اللغة، أو في أقل ما يمكن قوله إن تشومسكي قد اتخذ من فكر سيبويه منطلقا لبناء نظريته التوليدية التحويلية والله أعلم.

الهوامش:

(1) ينظر: مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 57.

(2) ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية: 57.

(3) اتجاه البحث اللساني، ميلكا افتسن : 305.

(4) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: 16 وما بعدها، وينظر: النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقها في النحو العربي: 346 وما بعدها/ وينظر : قضايا الأصول التراثية في اللسانيات المعاصرة، عرض وتحليل: 77 وما بعدها.

(5) النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقها في النحو العربي: 330.

(6) نظرية تشومسكي اللغوية: 12.

(7) مبادئ علم اللسانيات الحديث: 121.

(8) تشومسكي، في عيد ميلاد السبعين محاضرة للدكتور حمزة بن نقلان المزيني، http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=95816

(9) المصدر السابق.

(10) المصدر السابق.

(11) المصدر السابق.

(12) المنهج التوليدي التحويلي التشومسكي، بحث موجه لطلبة اللغة والادب العربي: http://aiyalprss.com/forum/threads/34002 .

(13) تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة المذيني، موقع الكتروني مذكور سابقاً.

(14) ينظر: اهمية الربط بين التفكير اللغوي ونظريات البحث اللغوي الحديث: 16.

(15) النحو العربي والدرس الحديث: 112.

(16) المرجع نفسه.

(17) ينظر: الالسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: 33.

(18) في نحو اللغة وتراكيبها: 53.

(19) الكتاب: 327/1.

(20) الكتاب: 395/1.

(21) ينظر: الأبنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: 98/ وفي نحو اللغة وتراكيبها: 175 .

(22) ينظر: البنى النحوية: 17.

(23) الكتاب: 25/1-26.

(24) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: 62-63. / وينظر: جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه:61.

(25) الكتاب: 34/1، 15/1.

(26) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص224.

(27) ينظر: جذور النظرية التوليدية التحويلة في كتاب سيبويه:61-62.

(28) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 32-36.

(29) الألسنة التوليدية والتحويلية: وقواعد اللغة العربية: 32.

(30) الكتاب: 25/1.

(31) الكتاب: 98/1-99.

(32) الكتاب: 315/3.

(33) الكتاب: 205/2.

(34) ينظر: مباحث في النظرية الألسنيه: 32

(35) ينظر: جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه:148

(36) ينظر الكتاب: 365/3.

(37) الكتاب: 205/1.

(38) مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 75.

(39) ينظر: الكتاب: 37/1.

(40) الكتاب: 12/1.

(41) مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 75.

(42) الكتاب: 12/1.

(43) مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 76.

(44) المصدر السابق.

(45) تجاوز هذا المصطلح ومشتقاته الخمسين في الكتاب ، ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه، هامش(2)/252.

(46) الكتاب: 391/1-392.

(47) الكتاب: 46/3.

(48) العربية والبحث اللغوي المعاصر: 216.

(49) ينظر: في نحو اللغة وتركيبها: 66-67، والعربية والبحث اللغوي المعاصر: 216.

(50) ينظر: مدخلا لى الالسنية 113-115.

(51) ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: 92.

(52) الكتاب: 117/3.

(53) ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: 92.

(54) ينظر: البنى النحوية: 83، والالسنية المبادئ والاعلام: 200.

(55) الكتاب: 315/2.

(56) الكتاب: 316/2.

(57) شرح السيرافي على هامش كتاب سيبويه: 315/2.

(58) الكتاب: 316/2.

(59) الكتاب: 380/1.

(60) جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه: 115

(61) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: 134.

(62) الكتاب: 24/1.

(63) الكتاب: 224.

(64) التفكير اللساني في الحضارة العربية: 332.

(65) منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 235.

(66) الكتاب: 103/3.

(67) جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه:136-137

(68) ينظر: التعبير القرآني: 49 وما بعدها.

(69) ينظر: الكتاب: 34/1.

قائمة المصادر:

1- اتجاهات البحث اللساني ميلكا إفيتس، ترجمة: سعد عبد العزيز مطوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، 2000م.

2- الالسنية التوليدية والتحويلية (قواعد اللغة العربية (النظرية الالسنية)، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت. لبنان، 1983م.

3- الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1983م.

4- اهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م.

5- البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: جميل الماشطة، ط1، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، العراق، 1987.

6- تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، محاضرة للدكتور حمزة بن بقلان المزيني: http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=95816

7- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ط4، دار عمار، الاردن، 2006.

8- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبدالسلام المسدي، لدار العربية للكتاب، طرابلس، 1981م.

9- جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه ،جابر عبد الامير التميمي، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب جامعة بغداد، 2003م.

10- العربية والبحث اللغوي المعاصر، د. رشيد عبدالرحمن العبيدي، منشورات المجتمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد- العراق، 2004.
11- في نحو اللغة وتراكيبها – منهج وتطبيق، د.خليل احمد عمايرة، عالم المعرفة، جدة – السعودية، 1984م.
12- قضايا الاصول التراثية في اللسانيات المعاصرة، عرض وتحليل، د. عاصم شحادة علي، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، العدد: 79.
13- كتاب سيبويه، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة المدني، ط3، القاهرة، 1408هـ/1988م.
14- مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1985م.
15- مبادئ علم اللسانيات الحديث، تقديم: د. عبدة الراجحي، اعداد: د. شرف الدين الراجحي ود. سامي عياد حنا، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ت).
16- مدخل إلى الالسنية، يوسف غازي، منشورات العالم العربي الجامعة، دمشق، 1985.
17- مفهوم الجملة عند سيبوية، د. حسن عبدالغني جواد الاسدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2007م.
18- مقاربات لسانية في كتاب سيبويه ، لطيف حاتم الزاملي، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، 2010م.
19- منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، د. محمد عبدالكاظم البكاء، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1996م.
20- المنهج التوليدي التحويلي الجومسكي، زكريا كامل راجح مقدادي، http://giyaless.com/forum/thrum/threads/34002
21- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د.نوزاد حسن احمد، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا – بنغازي، 1996م.
22- النحو العربي والدرس الحديث، دار عبدة الراجحي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1986.
23- النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقها في النحو العربي، احمد المهدي المنصوري، اسمهان الصالح، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد: 29/2013م.
24- نظرية جومسكي اللغوية، تأليف: جون ليوز، ترجمة وتعليق: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2011م.

Obstetric, transformative repelling book

Dr. Ali Shaker Jawad
Imam Al-Kadhim College of Islamic Sciences
ali.shaker@alkadhum-col.edu.iq

Keywords:Transport evidence،Confessions of his theory،Mental evidence

Summary:

What Chomsky brought about more than half a century ago has transformed the field of modern linguistic research, but just as criticism was raised about this theory in its three stages, doubts were also raised about the authenticity of this theory after it was noticed what it has with the heritage of Arabic grammar that makes The suspicions are almost certain, depending on that rich heritage. Accordingly, the idea of our research came to seek the non-originality of this theory and its reliance on foundations preceded by Sepoy The many approaches that were made in this regard indicated the great convergence between what is in the book and what Chomsky came up with, to the point that it became a great mental evidence that he was influenced by Siboyh, but this evidence remains deficient without an evidentiary evidence that confirms at least Chomsky's acquaintance with Siboye's book. The Researcher of the Translational Evidence: Chomsky's admission of that, or what has been reported from his admission of that. Therefore, the aim of the research was not to conduct approaches, but to find the second evidence of Chomsky's influence with the book, which is the transmission evidence as mentioned above. Accordingly, the

research came in two parts:The first: the transport evidence: It depends on what has been reported on thi topic, and most importantly what has been quoted from the author of the theory (Chomsky.(The other is mental: it is based on the complex approaches that confirm what was stated by the report.